تحوّلات المصادر في السّياق القرآنيّ دراسة دلاليّة

أ.د.إسلام عبد السلام*

Islamm_abdelsalam@yahoo.com

ملخص:

يقع هذا البحث " **تحولات المصادر في السياق القرآني دراسة دلالية**" ضمن الدّراسات النّحوية الدّلالية في القرآن الكريم، وقد تمّ اختيار موضوعه لأهميّته في الكشف عن النّكت الدّلاليّة في التحوّل عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في صيغٍ من جذرٍ واحدٍ، كقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ** لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ** إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾، لقد عدل المولى سبحانه وتعالى عن المصدر الصّريح "استغفار" إلى المصدر المؤوّل " أن يستغفروا " ثمّ عاد بعدُ للتعبير بالمصدر الصّريح.

واقتضت طبيعة البحث أنْ يكون في :

مقدّمة، وتمهيد، ودراسة دلاليّة: اشتملت على النماذج التى تحوّل فيها السّياق القرآني عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل، **وخاتمة:** تناولتُ فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

الكلمات المفتاحية: المصادر، السياق ، الدلالة

---

* أستاذ بقسم اللغات والترجمة بالمعهد العالي للدراسات النوعية بالهرم

Abstract

This paper, "Reverse from the Explicit Verbal Noun to the Implicit Verbal Noun in the Holy Qur'an: a Semantic Study", belongs to the semantic studies category conducted on the Holy Qur'an. The topic has been chosen due to its importance in identification of the semantic implications in the reverse from the explicit Verbal Noun to the implicit Verbal Noun used in one–stem forms, as shown in this Holy verse: " It is not for the Prophet and those who have believed to ask forgiveness for the polytheists, even if they were relatives, after it has become clear to them that they are companions of Hellfire. And the request of forgiveness of Abraham for his father was only because of a promise he had made to him. But when it became apparent to Abraham that his father was an enemy to Allah, he disassociated himself from him. Indeed was Abraham compassionate and patient." It is clear that Allah the Almighty has reversed the explicit Verbal Noun "the request of forgiveness" to the implicit Verbal Noun "to ask forgiveness", then He, the Almighty, uses again the explicit Verbal Noun.

Due to the type of this study, it is divided into: **an introduction, a preface**, **a semantic study** with examples of reverse from the explicit Verbal Noun to the implicit Verbal Noun in the Holy Qur'an; and a **conclusion,** including findings of the study.

Keywords: sources, context, connotation

مقدّمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ المصطفى، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى والتّقى...

وبعدُ ،،،

فلمّا قد ظهر لي أهمّيّة العَلاقة بين النّحو والدّلالة وأنّها علاقةٌ وطيدةٌ ومتماسكة في دراساتٍ لي سابقة (اسم الفاعل بين التّنوين والإضافة في القرآن الكريم دراسة دلاليّة)[1] ، و(أثر السّياق في بيان الأوجه الإعرابيّة دراسة تطبيقيّة على القرآن الكريم) [2] صرتُ أكثر ارتباطاً بالقرآن الكريم وتفاسيره، وأكثر شغفا بمسألة المعنى وقضايا النّحو المختلفة، وأخذ يتبادر إلى ذهني استفسارات دلاليّة عن بعض الأساليب القرآنيّة، منها قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ** لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ** إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[3]

إنّ الآيتين متجاورتان (113، 114)، والبنى الصّرفيّة مختلفةٌ، لقد عدل المولى سبحانه وتعالى عن المصدر الصّريح "استغفار" إلى المصدر المؤوّل " أن يستغفروا " ثمّ عاد بعدُ للتعبير بالمصدر الصّريح لاختلاف معطيات السّياق كما سيأتي لاحقا.

إنّ هذا البحث يهدف لمحاولة إظهار النكت الدلاليّة في التحوّل عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في صيغٍ من جذرٍ واحدٍ، وعليه فلم تكنْ كلُّ المصادر المؤوّلة هدفي في هذا البحث، فقد وقع اختياري على المصدر

المؤوّل الذي تحوّل من مصدرٍ صريح حيث يثير عدول القرآن عن المصدر الصريح إلى المؤوّل في آياتٍ متتابعاتٍ– الدهشة والانبهار بتلك الدّقة اللّغويّة، كما أشرتُ سالفاً، وكذلك في قوله تعالى في سورة الرّوم: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾[4] .

واقتضت طبيعة البحث أنْ يكون في :

مقدّمة: تناولتُ فيها هدف البحث ومنهجه وخطّته.

وتمهيد: تضمّن مفهوم العدول لغةً واصطلاحاً، وتعريف المصدر الصّريح والمصدر المؤوّل ، وأيّ النوعين أصلٌ للآخر؟ وأيّهما فرعٌ أو محوّلٌ عن الأصل؟ للتأكيد على سبب اختيار للعنوان.

ودراسة دلاليّة: اشتملت على النماذج التى عدل فيها السّياق القرآني عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل ، تناولت فيها اثنتين وعشرين آيةً مطبّقاً عليها المنهج المشار إليه في هذه المقدّمة.

وخاتمة: تناولتُ فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

وقد انتهجتُ في دراستى هذه بما يقتضيه المنهج العلميّ من الاعتماد على الموضوعيّة في استنباط الأحكام وعدم تبنّي أيّة نتيجة إلا بعد قيام الدليل عليها؛ لذا كان من الواجب إبراز دور معطيات السّياق في ذلك العدول، وتمثّل ذلك في

تنوع الأمثلة لإثبات أنّ ما ذهبت إليه ظاهرة تستحق الدّراسة والبحث، وليس شيئاً عارضاً في النّصّ القرآنيّ

وهو ليس بحثاً إحصائيّاً لكلِّ نماذج المصادر في القرآن الكريم فلقد سبقني لذلك أستاذي الدكتور/ رجب حجّاج في بحثٍ عنوانه "المصدر المركّب في القرآن الكريم دراسة نحويّة دلاليّة" ، قال في مقدّمته: "التزمتُ الدراسة بالمنهج الوصفيّ التحليليّ الإحصائيّ، وقد ركّزت على المنهج الإحصائيّ لقناعتي بأنّ لغة القرآن لها خصوصيتها، وأنّ الأمثلة التي دارت في كتب النّحاة مكررة."[5]

فأفدتُ من الجانب الإحصائيّ، وأردتُ الإشارة إلى الجانب الدلالي، وأنّ أدلَّ على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير القرآني الرائع، وأنّ هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشرٌ، بل ولا البشرُ كلّهم، وهي دلائل هداني الله لقراءتها وتأمّلها في سياقها اللّغوى، قد أصيبُ، وقد يجانبني الصّواب، ولكنّي أذكر ما وجدتُه في نفسي، إنّها تأملاتٌ لبعض الأساليب اللّغويّة في القرآن الكريم. ولقد وقع اختياري على نماذج مركّبة من الحرف المصدريّ "أنْ+ الفعل" لوروده بنسبة كبيرة في القرآن الكريم حيث أشار الدكتور / حجاج إلى وروده في (566) خمسمائة وستٍ وستين مرّة ، ثمّ اخترت المصادر الصّريحة التي تحوّل منها مصادر مؤوّلة، مثل "أنْ يخلق – خَلْق"، "أنْ يسأل – سُؤال" ، "أنْ يستغفر – استغْفار "؛ لبيان النّكت الدّلاليّة في العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل داخل السّياق، فالبحثُ استبيانٌ للفكرة ومحاولة لوضع لبنة في بناء الدراسات الدلاليّة السياقيّة في هذا الجانب البحثي.

وتطلّبت حاجة البحث دراسة بعض الآيات المرتبطة بالمادة اللغويّة، جاء ذلك عند دراسة قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ** وَالْأَرْضِ ﴾ حيث ارتبط بهذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ **السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ**﴾؛ **لبيان معطيات السياق اللغويّة التي أدّت إلى العدول عن " خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" إلى " أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ"، ومثل ذلك ص23 من هذا البحث.**

فإنْ أصبت فمن الله، وإنْ كانت الأخرى فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

تمهيد :

تعريف المصدر الصّريح والمصدر المؤوّل :

المصدر لغةً :

صَدْرُ كلّ شيء: أوّلُه، والمصدر هو أصل الكلمة التى تصدر عنها صوادر الأفعال، وتفسيره: أنّ المصادر كانت أوّل الكلام، كقولك: الذّهاب والسّمْع والحِفْظ، وإنّما صدرت الأفعال عنها، فيقال: ذَهَبَ ذِهَاباً، وسَمِع سَمْعاً وسَمَاعاً، وحَفِظ حِفظاً."[15]

المصدر الصّريح اصطلاحاً :

الاسم الدال على مجرّد الحدث [16]، أو هو ما يدل على معنًى مجردٍ، وليس مبدوءاً بميم زائدة، ولا مختوماً بياء مشدّدة زائدة، بعدها تاء تأنيث مربوطة، ومن أمثلته: عِلْم – فَهْم – تَقَدُّم – استضاءة – إبانة." [17]

والمصدر المؤوّل : هو الذى ينسبك من الحرف المصدريّ أو الموصول الحرفيّ مع صلته، ويقال له: "المصدر المسبوك" أو "المصدر المؤوّل"[18]

وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا نلجأ في الاستعمال إلى الحرف المصدريّ وصلته ثمّ نؤوّلهما بمصدر، ولا نلجأ ابتداءً إلى المصدر الصّريح ؟ لمَ نقول:– مثلاً– : يحسن أنْ تأكل، ولا نقول : يحسن أكلك ؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغي معرفة أنّ النّحو العربي عِلْمٌ لم يهتمّ بتتبع علامات الإعراب والبناء فحسب، بل هو علمٌ اهتمّ أيضاً بدلالة الجملِ والكلمات داخل سياقها "وذلك أنّنا لا نعلم شيئاً يبتغيه النّاظم بنظمه غير أنْ ينظر في وجوه كلِّ بابٍ وفروقه."[19] والكلام عند سيبويه ينقسم من حيث المعنى علي

خمسة أقسام "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا، وأمّا المحال فأنْ تنقض أوّل كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس، وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، وأمّا المستقيم القبيح فأنْ نضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك:"قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيك ،وأمّا المحال الكذب فأنْ تقول:سوف أشرب ماء البحر أمس."[20]

اعتمد سيبويه في النّصّ السّابق على مراعاة الجمع بين حسن التركيب إلى حسن التوافق مع المحيط الخارجي " سياق الموقف " في مثل "حملت الجبل، وشربت ماء البحر" فليس كلّ تركيبٍ لغويٍّ صحيح في الجانب النحويّ يؤدّي إلى معنًى صحيح، فالموقف الخارجيّ يؤدّي إلى قبول التّركيب اللّغويّ أو رفضه، "فالسياق إذاً يرشد إلى تبيّن المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام المطلق وتنّوع الدلالة، فهو من القرائن الدالة على مراد المتكلم."[21]

ويذكر الأستاذ عبّاس حسن أنّ الدّاعي للعدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل أمورٌ هامّة تتعلّق بالمعنى أو بالضّوابط النّحويّة فمن الأولى :

1- الدلالة على زمان الفعل سواء أكان ماضياً: نحو الشائع أنْ حضرتَ، أم مستقبلاً: نحو: الشائع أنْ تحضر، فلو قلنا من أوّل الأمر: الشائع حضورك، لم ندر زمن الحضور أمضى أم لم يَمْضِ ؟ لأنّ المصدر الصّريح لا يدل بنفسه على زمن.

2- الدلالة على أنّ الحكم مقصورٌ على المعنى المجرّد للفعل، من غير نظر لوصف يلابسه، أو لشيء آخر يتّصل به نحو: أعجبنى أنْ أكلت ، أى مجرد أكلك لذاته، لا لاعتبار أمر خارج عنه؛ لكثرته، أو قلته، أو بطئه، أو سرعته..... ولو قلنا: أعجبنى أكلك لكان محتملاً لبعض تلك الأشياء والحالات كطريقة الأكل، أو نوع المأكول.

3- الدلالة على أنْ حصول الفعل جائزٌ لا واجب، نحو: ظهر أن يسافر إبراهيم، فالسّفر هنا جائز، ولو قلنا: ظهر سفر إبراهيم لساغ أنْ يسبق إلى بعض الأذهان أنّ هذا الأمر واجبٌ."[22]

هذا ما أشار إليه الأستاذ عبّاس حسن في كتابه النّحو الوافي عن دواعي العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل، والأمر سيكون أكثر وضوحاً من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم، ويفهم من عبارة الأستاذ عباس حسن أنّ المصدر الصّريح أصلٌ وأنّ المصدر المؤوّل فرعٌ، وفي ذلك يقول الدكتور طه الجندي: " الضابط الجوهري لمفهوم الأصالة والفرعيّة هو ما يكون في الأصل من معنًى أوليّ بسيط، فيأتي الفرعُ ليحمل ما في الأصل من رصيد دلالي مضيفاً إليه شيئاً آخر هو الغرض من الصّوغ، أو لنقل هو الغرض من التحويل إليه.....، وكما هو معروف فإنّ المصدر الصّريح يدل على مجرد الحدث ، والمصدر المؤوّل الذي تحوّل منه يحمل ذلك الحدث مع زيادة دلاليّة."[23]، فالكلمة لها دلالتها الخاصّة داخل السّياق النّصّيّ خاصّةً إذا كنّا نتحدّث عن نصٍّ ليس من كلام البشر بل هو كلام الله ربّ العالمين، فلا شك أنّ كلّ مفردة وضعت وضعاً فنيّاً مقصوداً في مكانها المناسب.

هذا، وقد استعنت في بيان الفروق الدلاليّة للعدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل بالسّياق لتلمُّس الفروق في الاستعمال، وكان مرجعي في ذلك كتب التفاسير المختلفة، والمراجع النّحويّة واللّغويّة القديمة والحديثة .

" **واللهَ أسألُ أنْ يلهمَنا الرشدَ والصوابَ** "

أَنْ يَقْتُل– قَتْل

قال تعالى ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ{27} لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ{28} إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ{29} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ{30}** ﴾ المائدة: **27–30**.

هذه قصّة من قصص القرآن الكريم تقدّم نموذجاً لطبيعة الشّرّ والعدوان، نموذجاً من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، قصّةٌ ترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشّرّ الذي يثير الضّمير، إنّها قصّة ابني آدم "قابيل وهابيل " التي وصفها القرآن بقوله: " **نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ**"، والنّبأ هو الخبر المهمّ الشديد اللافت الذي له وقعٌ وأثرٌ عظيمٌ، والقضيّة كما جاءت في كتب التفاسير[24] أنّ الله تعالى تقبّل القربان من هابيل، ولم يتقبّل من قابيل، وذلك بعدما تقرّب هابيل إلى الله تعالى بخيرِ ماشيتِه، وتقرّب قابيل بأرْدَأ زرعِه؛ ليتزوّج أحدهما من أخت قابيل الجميلة، فوقع الحسد– وهو أوّل جريمة ظهرت على الأرض – في نفس قابيل لزواج هابيل من أخته الجميلة، ولتقبّل القربان منه، فجاش في نفسه خاطر القتل، وأقسم" **لَأَقْتُلَنَّكَ** " بهذا التّأكيد المنبِئ عن الإصّرار نابياً مثيراً للاستنكار؛ لأنّه ينبعث من غير موجب، اللهمّ إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر، شعور الحسد الأعمي الخارج من نفس شريرة طوّعت وسهّلت وشجّعت له قتل أخيه. إنّ القتل واقعٌ لا محالة في نفس قابيل، واقعٌ مع سبق الإصرار والتّرصّد، لقد عزم عليه

وطوّعته نفسه، ودفعه إلى ذلك حسده لأخيه، فعبّر القرآن عن تحقّق الحدث ووقوعه بالمصدر الصّريح "**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ** "، ولم يقل:"فطوّعت له نفسه أنْ يقتل" الذي يشعر معه القارئ باحتماليّة وقوع الحدث، وأنّ الأمر ليس قطعيّاً، وبالفعل وقعت الجريمة على مسرح الأحداث " **فَقَتَلَهُ**"، وقد ذللت له نفسُه كلَّ عقبةٍ، وطوّعت له كلَّ مانعٍ "**فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**".

فإذا ما تعلّق الحدث بالظّنّ والهواجس والخوف دون يقين يقطع ويؤكّد هذا الأمر عدل النّصّ القرآنيّ عن المصدرالصّريح إلى المصدر المؤوّل، وضح ذلك في قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{10} قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ{11} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ{12} وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ{13} وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ{14} قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ{15}** ﴾ الشعراء: **10-15**.

هذا هو المشهد الأوّل في قصّة سيّدنا موسى، مشهد تكليف موسى، وهو يبدأ بإعلان صفة القوم بـ " **الظَّالِمِينَ** " فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضّلال، وظلموا بني إسرائيل، فكانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ولإدراك موسى ظلْمَ فرعون وعتوّه وجبروته، وأنّ مهمّته ضخمة وتكليفه عظيم، شكا إلى ربّه ما به من ضعفٍ وقصور، وأبدى هواجس نفسه وخلجاتها لا ليعتذر، ولكن ليطلب العون والمساعدة، إنّ خوفه ليس من مجرد التّكذيب أو القتل، إنّه الاحتياط للدّعوة كما يقول الأستاذ سيّد قطب في ظلال القرآن[25]. وليس أيضاً تلكأً في أداء الرّسالة، بل قال ذلك استدفاعاً لِما يتوقّعه منهم من القتل[26] إنّ الأمرَ

مجردُ ظنّ وتوقّع وخوف من قوم جبّارين؛ لذا ناسب تلك الإشارات التعبير بالمصدر المؤوّل "**فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**"، وأكمل السياق القرآنيّ وضوح الفرضيّة الظنيّة لدى موسى–عليه السّلام– بقوله: "**كلا** "، أي: كلا لن يقتلوك، فهو ردعٌ وزجرٌ عن الإقامة على هذا الظّن، كأنّه قال: ارتدع عن هذا الظّنّ وثقْ بالله."[27]

وإذا جاورنا بين الآيتين ظهر التّناسق القرآنيّ وأنّ الجملَ القرآنيّة متناسقة " **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ** "، " **فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ قَالَ كَلا**"، القتلُ متحقّق في نفس القاتل – قابيل–(مصدر صريح)، فظهر على مسرح الأحداث " **فَقَتَلَهُ** "، والقتل أمرٌ ظنّيّ في نفس موسى غير متحقّق (مصدر مؤوّل)، فأمره القرآن أنْ يرتدع عن هذا الظنّ ويثق بالله.

أَن تَصُومُواْ – صيام

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ{183} أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{184} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ{185}** ﴾ البقرة: **183– 185**

جاءت آيات الصّيام ضمن آيات توضّح جانباً من التّنظيمات الاجتماعيّة للمجتمع الإسلاميّ في بداية عهده بالمدينة، وجانباً من العبادات المفروضة كلّها مرتبطة بالوجوب وبتقوى الله تعالى وخشيته.

قال تعالى ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ{179} كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ{180} فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ{181} فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{182} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ{183} أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ**

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{184} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.﴾

ويلاحظ في الآيات السابقة أنّها خاطبت المجتمع المسلم بتنظيمات وعبادات مفروضة بدأها بـ " كُتِبَ " وعُقّب عليها بالإشارة إلى الأمر المرجو منها، وهو "تقوى الله تعالى" "ومعنى كُتِبَ عليكم أنّه حقٌّ لازم للأمّة لا محيد عن الأخذ به ..... ، وأصلُ الكتابةِ نقشُ الحروفِ في حَجَرٍ أو رَقّ أو ثَوْب، ولمّا كان ذلك النّقش يراد به التّوثق لما نقش به ودَوَامِ تَذَكُّرِه أطلق "كُتِب" على المعنى حَقَّ وثَبَت، أي حقَّ لأهل القتيل."[28]

وقد بدأت كثيرٌ من الواجبات المفروضة في القرآن بكلمة "كُتب" لما سبقت الإشارة لمعناه، قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾**[29] ، ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** [30]،﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾** [31]، ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾** [32]، ﴿**قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ ﴾**[33] ،﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**[34]

إذاً فالقرآن الكريم يقرر أنّ الصّيام فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كلّ دين، وأنّ الغاية الأولى هي إعداد قلوبهم للتّقوى، تلك الفريضة الواجبة ناسبها التعبير بالمصدر الصّريح "**الصّيام**".

ثمّ عَقّبَ القرآن لذلك الحكم الوجوبيّ بحكم الرّخصة، حيث أعفى من أدائه المريض حتّى يصحوَ، والمسافر حتّى يقيم ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾

ولمّا كان الصيام شاقاً على المسلمين في أوّل الأمر– حيث فُرض السّنة الثانية من الهجرة– فقد جعل الله فيه رخصة لمن يستطيع الصيام بجهد، وهذا الرّخصة هي الفطر مع إطعام مسكين، وهذا معناه "أنّ الآية دلّت على أنّ فريضة الصّيام جاءت بتدرّج، فالله سبحانه وتعالى أراد أنْ يُخرج أمة محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– من دائرة أنّهم لا يصومون إلى أنْ يصوموا صياماً يخيّرهم فيه؛ لأنّهم كانوا لا يصومون ثمّ جاء الأمر بعد ذلك بصيام لا خيار فيه، فالصوم قد فرض أوّلاً باختيار، وبعد أنْ اعْتَادَ المسلمون وأَلِفُوا الصوم جاء قول الحق: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾، وفي هذه الآية لم يذكر الحقّ الفدية أو غيرها، إذْ كانت فريضةُ الصوم اختياريّة ثمّ جاء القرار الإرتقائي فصار الصوم فريضة محدّدة المدّة وهي شهر رمضان، وبذلك انتهت مسألة الفدية بالنسبة لمن يطيق الصّوم، أمّا الذى لا يطيق أصلاً بأنْ يكون مريضاً أو شيخاً فقد بقيت له الرّخصة."[35]

وعلى ذلك فقد ناسب حالة فرض الصّيام المصدر الصّريح ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾، وناسب حالة اختيار الصّوم مع المشقّة، أو مع السفر والمرض – المصدر المؤوّل ﴿**وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾، وقد أوّله بعض المفسّرين بالمصدر الصّريح، أى: والصّيام خيرٌ لكم[36]،لكنّ السّياق القرآنيّ الذى يتّسم دائماً بالدّقة التي يفسّرها قوله تعالى:﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ**

غَيْـرِ اللّـهِ لَوَجَـدُواْ فِيـهِ اخْتِلاَفـاً كَثِيـراً﴾(النساء:82) خاطب العرب الفصحاء بالمصدر الصّريح لبيان وجوب فريضة الصيام، وبالمصدر المؤوّل لبيان اختيار الصّيام وقت تدرّج الفريضة على المسلمين، أو بقاء الرّخصة لمن يجهده الصّوم أو كان مريضاً أو مسافراً.

أنْ تجمعوا – جمع

قال تعالى:﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾**النّساء: **23**

تتناول هذه الآيات أنواع المحرّمات من النّساء، قال ابن عبّاس:"كان أهل الجاهليّة يحرّمون ما يحرّم الإسلام إلا امرأة الأبّ والجمع بين الأختين."[37] ؛ لذا عدل الأسلوب القرآنيّ عن أسلوب النهي في الآية السابقة لتلك الآيات﴿**وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾[38] عدل إلى قوله: ﴿**حُرِّمَتْ**﴾ الدالة على أنّ المحارمَ من النّساء أمرٌ مقررٌ سلفاً، ولمّا جاء للحالة الثانية "حُكْم الجمعِ بين الأختين" عدل عن المصدر الصّريح "حُرّم عليكم الجَمْعُ بين الأختين"[39] إلى قوله " **وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ** "، وهو مصدرٌ مؤوّلٌ ناسب إجازة التشريع للزوج في الاختيار بين زوجتين، إمّا الإبقاء على إحداهما وتطليق الأخرى، وإمّا الإبقاء عليهما، قال القرطبيّ رحمه الله: " إذا جرى الجَمْعُ في الجاهليّة كان النكاح صحيحاً ، وإذا جرى في الإسلام خُيِّر بين الأختين."[40]

قال الإمام الشّعراوي: " إنّ هذا الأمر – الجَمْع بين الأختين – قد سلف قبل أنْ يشرع الله ، فهو سبحانه من غفرانه ورحمته لم يؤاخذنا بالقانون الرجعيّ، وما دام الحكم لم يأت إلا الآن فيطبّق من الآن."[41]

لذا ناسب هذا المعنى المصدر المؤوّل الذى يشعر معه القارئ أنّ الجَمْع بين الأختين لم يكن من المحرّمات فيما مضى، وأنّ الإبقاء على ما قد سلف اختياريّ، وأنّ الله يغفره والإسلام يحببه، ويدلّ على عدم المؤاخذة به.[42]

وذلك المعنى يخالف تقدير بعض المفسّرين للآية الكريمة بـ "حُرّمت هذه الأشياء والجَمْعُ بين الأختين"[43] ، حيث نشعر معه بأنّ التّحريم واقعٌ لا محالة في كلِّ الأزمنة (الماضى والحاضر والمستقبل)، ولا اختيار لمن وقع في ذلك إلا عدم الجَمْع بين الأختين، وذلك منافٍ لرحمته تعالى القائل ﴿**إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾؛ ليناسب بهذه الآية دلالة المصدر المؤوّل، وبها تسير الدّلالة القرآنيّة في نسقٍ واحدٍ، "فالمغفرة للتّجاوز عن الاستمرار عليه، والرّحمة لبيان سبب ذلك التّجاوز."[44]

فإذا ما انتقل بنا السّياق القرآني لمشهد فيه دلالة واضحة على ثبوت الجَمْع وتيقّن وقوعِه دون وجود فرضيّة الاختيار عبّر سبحانه وتعالى بالمصدر الصّريح، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ** ﴾[45]

جاءت الآية السّابقة ضمن آيات تتحدّث عن آثار قدرة الله فيما يحيط بالنّاس، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ{28} وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن**

دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ{29} وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ{30} وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ{31} وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ.﴾[46]

جاء اللفظ القرآنىّ في هذه الآيات مختاراً بدقّة للمطر ﴿ **الْغَيْثَ** ﴾ حيث جاء ليلقى ظلّ الغوث والنّجدة، وتلبية المضطر في الضّيق والكربة، كما أنّ تعبيره عن آثار الغيث ﴿ **وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾ يلقى ظلال النّداوة والخضرة والرّجاء والفرح التى تنشأ فعلاً عن تفتّح النبات في الأرض وارتقاب الثّمار.

ثمّ تعرض الآيات الكريمات لآية كونيّة[47] معروضة على الأنظار قائمة تشهد بذاتها، وهى آيةٌ لا تحتمل جدلاً ولا ريبة ، فهى قاطعةٌ في دلالتها، إنّها تشهد بأنّ الذى أنشاها ودبّرها ليس هو الإنسان ولا غيره من خلْق الله، ولا مفرّ من الاعتراف بمنشِئ مدبّر، فإنّ ضخامتها الهائلة، وتناسقها الدّقيق ونظامها الدّائب ووحدة نواميسها الثّابتة لا يمكن تفسيره إلا على أساس أنّ هناك إلهاً أنشأها ودبّرها، كما أنّه لا يمكن أنْ يعبّر عن هذا النظام الدائب والنواميس الثابتة للسماوات والأرض إلا بمصدر صريح "خَلْق"؛ ليشعرَ معها القارئ بثباتٍ واستقرارٍ واستمراريّة تلك النشأة وذلك الخَلْق[48]، وتنطوى آية السماوات والأرض على آية أخرى في ثناياها ﴿**وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ** ﴾، فالحياة في هذه الأرض وحدَها – ودعْ عنك ما في السماوات من حَيَواتٍ آخرى لا ندركها – آيةٌ أخرى، وهى – أى الحياة – سرٌّ لم ينفذ إلى طبيعته أحدٌ، سرٌّ غامضٌ لا يدرى أحدٌ من أين جاء، ولا كيف جاء، ولا كيف يتلبّس بالأحياء ! وكلّ المحاولات التى بذلت للبحث عن مصدره أغلقت دونها السّتر والأبواب، وانحصرت البحوث كلُّها في

تطوّر الأحياء بعد وجود الحياة، هذه الأحياء المبثوثة في كلِّ مكان فوق سطح الأرض وفي ثناياها، وفي أعماق البحر وفي أجواز الفضاء – ودع عنك تصوّر الأحياء الأخرى في السّماء – هذه الأحياء المبثوثة التى لا يعلم الإنسانُ منها إلا النزر اليسير ولا يدرك منها بوسائله إلا القليل المشهور، هذه الأحياء التى تدبّ في السّماوات والأرض يجمعها الله حين يشاء لا يضلّ منها فردٌ واحدٌ ولا يغيب ! وبنو الإنسان يعجزهم أن يجمعوا سرباً من الطّير الأليف ينفلت من أقفاصهم، أو سرباً من النّحل يطير من خليةٍ لهم ! وأسرابٌ من الطير لا يعلم عددها إلا الله ، وأسرابٌ من النّحل والنّمل وأخواتها لا يحصيها إلا الله، وأسرابٌ من الحشرات والهوام والجراثيم لا يعلم مواطنها إلا الله ، وأسرابٌ من الأسماك وحيوان البحر لا يطلّع عليها إلا الله، وقطعان من الأنعام والوحش سائمة وشاردة في كلّ مكان ... ومعها خلائق أربى عدداً وأخفى مكاناً في السّماوات من خِلْق الله .... كلها .... كلها.... يجمعها الله حين يشاء، إنّ التعبير يقابل بين مشهد البثّ ومشهد الجَمْع في لمحةٍ على طريقة القرآن، فيشهد القلب هذين المشهدين الهائلين قبل أنْ ينتهى اللسان من آية واحدة قصيرة من القرآن."؛[49] لذا عبّر القرآن الكريم عن تلك القدر العظيمة بمصدرٍ صريحٍ " خَلْق – جَمْع "؛ ليناسب شعورنا باليقين الكامل بقدرته تعالى على خَلْق وجَمْع تلك الخلائق .

ولننظر إلى الدّقة اللّغويّة المتّصلة بالسّياق القرآنيّ حيث عبّر عن المعنى نفسه "خَلْق" بمصدر مؤوّل في الآيتين العشرين والحادية والعشرين من سورة الروم عند الحديث عن خَلْق البشر، وفي الآية الثانية والعشرين من السّورة ذاتها عبّر بمصدرٍ صريحٍ عند الحديث عن خَلْق السّماوات والأرض، ولقد أشرت

آنفاً إلى دلالة التّعبير بالمصدر الصّريح "خَلْق " في سورة الشورى، وبقى أنْ أشير إلى العدول عنه في الآيتين العشرين والحادية والعشرين من سورة الروم قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ{20} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[50].

وفي الآية الثانية والعشرين قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾[51]

وفي الآية الخامسة والعشرين قال تعالى:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ**﴾[52] ، حيث عدل في حديثه عن السماء والأرض عن المصدر الصريح " خَلْق" إلى المصدر المؤوّل "أنْ تقوم"، وهذا العدول يفسّره السّياق، ففي الآية العشرين: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾ إشارةٌ للأصل البعيد للإنسان، وهو التّراب الميّت السّاكن، وفي موضعٍ آخر في القرآن قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**﴾[53]، وقال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ**﴾[54]، وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**﴾ [55]

يتّضح من ذلك أنّ أوّل ابتداء آدم – عليه السّلام – كان تراباً متفرّقَ الأجزاء ثمّ بُلّ – أى التّراب – فصار طيناً، ثمّ ترك حتّى أنتن وأسودّ فصار حماً مسنوناً، ثمّ يبس فصار صلصالاً، وعلى هذه الأحوال والأطوار تتخرّج الآيات الواردة في خَلْق آدم عليه السّلام[56] يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن**

سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ{12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ{13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ{14}﴾ (57)

هذه الآيات تشير إلى أطوار نشأة الإنسان الأولى من سلالة من تراب، أمّا نشأة الفرد الإنسانيّ بعد ذلك وتكرار أفراده وتكاثرهم فقد جرت سنة الله أنْ يكون عن طريق نقطة مائيّة تخرج من صُلْبِ الرجل، فتستقرّ في رحم امرأة، ثمّ بعد ذلك تتحوّل النّطفة إلى العلقة، ومنها إلى المضغة ثمّ تجيء مرحلة العظام فمرحلة كسوة العظام باللّحم ﴿ **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ**﴾.

يتّضح ممّا سبق أنْ خلق الإنسان من ترابٍ خاصٌّ بآدم عليه السّلام وأنّه حدثٌ انقطع، ولم تتكرر تلك النشأة، لذلك عدل القرآن الكريم عن المصدر الصّريح " ومن آياته خَلْقُكُم من تراب" إلى المصدر المؤوّل ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ** ﴾ ، لنشعر معه أنّ المصدر المؤوّل يمدُّنا بمعني انقطاع الحدث وعدم استمراريّة خَلْق البشر من تراب، وأنّ الأمر يتعلّق بالأصل البعيد للإنسان "آدم" عليه السّلام، وأمّا سلالته فتأخذ طوراً آخر في النشأة .

وتنتقل بنا الآيات إلى خلق "حواء" ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (58)، ومعنى ذلك أنّ حواء خلقها الله من آدم (59)، من ضلعِه، فهي من نفسِ آدم ، ولقد أشار القرآن إلى ذلك بشكل أكثر وضوحاً لا التباس فيه في بداية سورة النّساء، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء**﴾(60).

وفي سورة الأعراف قال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ (61)

وفي الحديث الصحيح : "إنّ المرأة خُلِقَت من ضلع، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه."(62)

جاء في التّحرير والتّنوير عند تفسير آية سورة النّساء:" والنّفس الواحده هي آدم، والزّوج: حواء، فإنّ حواء أُخرجت من آدم من ضلعِه، كما يقتضيه ظاهر قوله: " **مِنْهَا** "، و"مِنْ " تبعضيّة، ومعني التّبعيض أنّ حواء خلقت من جزءٍ من آدم."(63)

يقول الإمام سيّد قطب: " قد شاء الله أنْ تبدأ هذه النبته في الأرض بأسرة واحدة، فخلق ابتداءً نفساً واحدة، وخلق منها زوجها، فكانت أسرة من زوجين." (64)

يتضّح مما سبق أنْ خلق حواء من ضلع آدم –عليه السّلام– حدثٌ لم ولن يتكرر، فقد أظهر الله سبحانه وتعالى أنّه " قادرٌ على أنْ يخلق حيّاً من حيٍّ لا على سبيل التّوالد – كما أنّه قادرٌ "على أن يخلق حيّاً من جماد كذلك."(65)، "ولو شاء الله لخلق في أوّل النشأة – رجالاً كثيراً ونساءَ، وزوّجهم، فكانوا أسراً شتى من أوّل الطّريق، لا رَحِمَ بينها من مبدأ الأمر، ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إدارة الخالق الواحد، وهي الوشيجةُ الأولى، ولكنّه سبحانه شاء أنْ يبدأ الوشائج من وشيجة الربوبيّة – وهي أصل وأوّل الوشائج، ثمّ يثنى بوشيجة الرَّحِم، فتقوم الأسرة الأولى من ذَكَرٍ وأنثى، ومنّها يبثّ رجالاً كثيراً ونساء، كلّهم يرجعون ابتداءً إلى وشيجة الربوبيّة، ثمّ يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة." (66)

هذه المعاني عبّرعنها المولى سبحانه وتعالى في سورة الروم بمصدرٍ مؤوّل ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ{20} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾؛ لنشعر مع المصدر المؤوّل في تعبيره عن خَلْق حواء من آدم أنّ ذلك حدثٌ منفردٌ لن يتكرر مرّة ثانية مع الخليقة، فكلما خلق آدم من ترابٍ، ولم يخلق غيره من ترابٍ، كذلك خلق حواء من آدم لا على سبيل التوالد، ولم يتكرر هذا الحدث، وما أعظم السّياق القرآنيّ الذي يعدل عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل في آيات متجاورات، لنشعر بالتّحدي الواضح في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً{82}**﴾[67] ولنستعرض الآيات لإظهار ذلك العدول:

قال تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ{20} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{21} وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾

والحديث يأخذنا لتناول الآية الخامسة والعشرين حيث عدل في حديثه عن السماء والأرض عن المصدر الصّريح " **خَلْق** " إلى المصدر المؤوّل "**أَن تَقُومَ** "، والسّياق يوضّح لنا دلالة المصدر المؤوّل بعدما وضّح دلالة المصدر الصّريح " **خَلْق** "[68]. قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ** ﴾

" ليس المراد بإقامتها إنشاءهما؛ لأنّه قد بيّن حاله بقوله تعالى:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[69] ، ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل، فإنّ ذلك من تتمات إنشائهما، وإنْ لم يصرح به تعويلاً على ما ذُكر في موضعٍ آخر من قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[70] ، بل قيامهما، وبقاؤهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذى أشير إليه بقوله تعالى:﴿**مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[71] وحيث كانت آية قيام السّماء والأرض بأمره تعالى متأخّرة عن سائر الآيات المعدودة، متّصلة بالبعث في الوجود أخّرت عنهنّ، وجعلت متّصلة به في الذّكر أيضاً فقيل:" **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ** "، والكلام مسوق للأخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما، كأنّه قيل: ومن آياته قيام السّماء والأرض على هيئتهما بأمره عزّ وجلّ إلى أجلٍ مسمّى قدّره الله تعالى لقيامهما، ثم إذا دعاكم أى بعد انقضاء الأجل في الأرض وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأنْ قال سبحانه: أيها الموتى اخرجوا فاجأتُم الخروج منها"[72] لهذه المعانى – قيام السماء والأرض لأجلٍ مسمى، واتّصالها بالبعث – عدل القرآن الكريم عن المصدر الصّريح " **ومن آياته قيام**" إلى المصدر المؤوّل ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ**﴾؛ ليشعر القارئ بدلالة المصدر المؤوّل على عدم استمراريّة ذلك القيام، وأنّ له أجلاً حدده الله سبحانه وتعالى، وعبّر بـ"ثمّ " للتّراخي وبيان طول فترة قيام السّماوات والأرض لحين موعد الحشر، و"المقصود من الجملة المعطوفة الاحتراس عمّا قد يتوهمّ من قوله " **أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ** " من أبديّة وجود السّماوات والأرض فأفادت الجملة أنّ

هذا النّظام الأرضيّ يعتوره الاختلال إذا أراد الله انقضاء العالم الأرضيّ وإحضار الخَلْق إلى الحشر تسجيلاً على المشركين بإثبات البعث، وأشار لذلك في العديد من الآيات القرآنيّة كما ذكر آنفاً[73] وكقولة تعالى ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [74]

وقد رتّب نظم الجملة على التّقديم والتّأخير، وأصل الجملة: " نعيد الخلق كما بدأنا أوّلَ خلقٍ يوم نطوى السّماء كطى السّجل للكتب وعداً علينا[75] ، فالسّماء مطويّة كما يطوى خازن الصحائف صحائفه، وقد قضى الأمر، وطوى الكون الذى كان يألفه الإنسان، وإذا عالم جديد وكون جديد."[76]

أنْ تَأْخُذَ – أَخْذ

قال تعالى : ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾البقرة:**229**

نزلت هذه الآيات بياناً لعدد مرات الطّلاق الذى للمرء فيه أنْ يرتجع دون تجدد مهر وولىّ، وحقّ المطلّقة في تملّك الصَّدَاق، وحرمة استرداد شيء منه عند الطّلاق إلا في حالة واحدة، حالة المرأة الكارهة التى تخشى أنْ ترتكب معصيّة لو بقيت مقيّدة بهذا الزواج المكروه، وهى حالة الخلع، التي تشترى فيها المرأة حرّيّتها بفدية تدفعها، فلا يحلّ للرجل أنْ يستردّ شيئاً من صَدَاق أو نفقة أنفقها في أثناء الحياة الزوجيّة في مقابل تسريح المرأة إذا لم تصلح حياته معها، ما لم تجد أنّها كارهة لا تطيق عشرته لسبب يخصّ مشاعرها الشّخصيّة، وتحسّ

أنّ كراهيتها لـه، أو نفورها منـه سيقودها إلـى الخروج عن حدود الله فـي حسن العشرة أو العفّة أو الأدب ، فهنا يجوز لها أن تطلب الطّلاق منه، وأنْ تعوّضه عن تحطيم عشّه بلا سبب متعمّد منه بردّ الصَّدَاق الذى أمهرها إياه."[77]

ولقد روى البخارىّ بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما– أنّ امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فقالت: يا رسول الله ما أعيب عليه في خلقٍ ولا دينٍ، ولكن أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – :" أتردّين عليه حديقته؟ (وكان قد أمهرها حديقة)، قالـت: نعـم، قـال رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم:"اقْبَـلِ الْحَدِيقَـةَ وطَلِّقْهَـا تطليقة."[78]

والمفهوم من سياق الآيات السابقة أنّه يجوز أنْ يأخذ الزوج من زوجته ما دفعه من صَدَاق مقابل تطليقها، وأنّ قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً** " ليس على الإطلاق إلا في حالة كراهية الزوجة زوجها، هذا المعنى عبّر عنه القرآن بالمصدر المؤوّل"**أَن تَأْخُذُواْ**" الذى نشعر معه باحتماليّة وإمكانيّة استرداد الزوج ما دفعه في حالة من الحالات، وهذا المعنى لا يعطية المصدر الصّريح كما قدّره بعض المفسّرين " أى: لا يحلُّ لكم **أَخْذُ** شيءٍ مما أتيتموهنّ."[79]

وأردف المصدر المؤوّل بدلالته على الاحتماليّة بقوله تعالى: ﴿**أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ**﴾ والمعنى: إلا أنْ يخافَ الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمُهما من مواجب الزوجيّة، فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت [80]،

وبذلك يسير التعبير القرآني في نسقٍ واحدٍ مُتتابعٍ غير متناقض، وتتضّح دلالة العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل بخلاف تقديره بمصدر صريح "ولا يحلُّ لكم **أَخْذُ** شيءٍ مما أتيتموهنّ إلا أنْ يخافا ألا يقيما حدود الله فإنّ خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به "، حيث يظهر التباين بين بداية الآية "عدم الأخْذِ" وما تشعّه من دلالة على ثبات الحُكْم وقطعيته وبين بقية الآية بما تشتمل عليه من استثناء يبيح للزوج استراد ما أنفقه، فلا يضيع عليه بلا ذنب جناه.

فإذا ما تحدّث القرآن الكريم عن "أَخْذٍ " لا احتماليّة فيه وأنّه لا محالةَ واقعٌ بيّنٌ للناظرين عبّر بالمصدر الصّريح، قال تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[81]

جاءت الآية في خاتمة سورة هود قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ{100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ{101} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [82]

تضمّنت آيات سورة هود السّابقة لهذه الآيات قصصاً مفصّلاً بعض الشيء[83]، وتبع القصص في هذه السّورة خطَّ سير التّاريخ فبدأ بنوح، ثمّ هود، ثمّ صالح، ولمَّ بطرفٍ من قصّة إبراهيم في الطريق إلى لوط، ثمّ شعيب ثمّ إشارة إلى موسى؛ ليذكّر التالين بمصير السالفين على التوالي بهذا الترتيب السّابق،

ففي نهاية قصّة نوح ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.** ﴾ (84)

وفي نهاية قصّة قوم عاد ﴿ **وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ{58} وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ{59} وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ.** ﴾(85)

إلى آخر القصص في سورة هود حيث مصارع القوم معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال، منهم الغارقون في لُجّة الطّوفان الغامر، ومنهم المأخوذون بالعاصفة المدمّرة، ومنهم من أخذته الصّيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامه فأوردهم النار، وما حلّ بهم من قبلُ في الدّنيا يخايل للأنظار في هذا الموضع، وقد بلغ السّياق من القلوب والمشاعر أعماقها بتلك المصارع والمشاهد، هنا يأتي هذا التعقيب ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ{100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ{101} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾(86)

كذلك الذى قصصناه عليك، وبمثل هذا الدّمار والنّكال يأْخُذُ ربُّك القرى حين يأخذُها وهى ظالمةٌ " **إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** "، بالعظمة التعبير القرآني في تعبيره عن هلاك الظالمين السّابقين بالمصدر الصّريح " **أَخْذ**"؛ لنشعر معه أنّ أَخْذَ الظالمين واقعٌ لا محالةَ، لا احتماليّةَ فيه، ولا يرجى الخلاص منه، ولا مكان

للرجوع عن قرار أَخْذِ الظالمين، وهذا مبالغةٌ في التّهديد والتّحذير. عن أبي موسى الأشعري قال:" قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الله سبحانه ليُمْلي للظّالم حتّى إذا أخذَه لم يُفْلته" ثمّ قرأ ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[87]، إنّه لفظٌ مختارٌ بدقّة يعطي معاني بقاء الوعيد واستمراره في الزمان كلّما ساد الظّلم في الأمم وسيطر الظّالمون، إنّها تلاقي مصيرها الذى يقدّره الله لها، وفْق سنتِه التى لا تختلف على مدار الزمان، فهو مثلٌ حيٌّ لكلّ ظالمٍ "وتختلف قوّة الأَخْذِ بقوّة الآخذ، فإذا كان الآخذ هو الله سبحانه فهو أَخْذُ عزيز مقتدر."[88] وهذا ما شاهدنا بأبصارنا في عصرنا الحديث حيث ساد الظّلم وسيطر الظّالمون، فأخذ الله الظّالمين بظلمهم.

أنْ أسأل – سؤال

قال تعالى: ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ{42} قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ{43} وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{44} وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ{45} قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ{46} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [89]

يقتضى السّياق[90] أنّ نداء نوحٍ – عليه السّلام – ربَّه كان بعد استواء السّفينة على الجودي نداءً دعاه إليه داعي الشّفقة، فأراد به نفع ابنه في الآخره بعد اليأس من نجاته في الدنيا؛ لأنّ الله أعلمه أنّه لا نجاة إلا للذين يركبون السّفينة. والنّداءُ هنا نداءُ دعاء فكأنّه قيل: ودعا نوحٌ ربَّه؛ لأنّ الدعاء يصدر بالنداء غالباً، وجملةُ " فقال ربّ إنّ أبني من أهلي" بيانٌ للنّداء، ومقتضى الظّاهر أن لا تعطف بفاء التفريع كما لم يعطف البيان في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً{3} قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً**﴾ [91] وخُولِف ذلك هنا، ووجّه في الكشّاف[92] اقترانه بالفاء بأنّ فعل " نادى" مستعملٌ في إرادة النّداء، أى مثل فعل (قمتم) في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ**﴾[93] يريد أنّ ذلك إخراجٌ [94] للكلام على خلاف مقتضى الظّاهر فإنّ وجود الفاء في الجملة التى هى بيانٌ للنداء قرينة على أن فعل "نادى" مستعار لمعنى إرادة النّداء، أى: أراد نداء ربّه فأعقب إرادته بإصدار النّداء، وهذا إشارة إلى أنّه أراد النّداء فتردّد في الإقدام عليه بما علم من قوله تعالى:" **إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ**" فلم يطل تردّده لما غلبته الشّفقة على ابنه فأقدم على نداء ربّه، ولذلك قدم الاعتذار بقوله:" **إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي** "، فقوله: "**إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**" خبرٌ مستعملٌ في الاعتذار والتّمهيد؛ لأنّه يريد أنْ يسأل سؤالاً لا يرى قبوله، وكذلك جملة "**وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ** " خبرٌ مستعملٌ في لازم الفائدة "، وهو أنّه يعلم أنّ وعد الله حقٌّ ، والمراد بالوعد ما في قوله تعالى:﴿ **إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾المؤمنون:**27**، إذ أفاد ذلك أنّ بعض أهله قد سبق

من الله تقديرٌ بأنّه لا يركب السّفينة، وهذا الموصول "مَنْ" متعيّن لكونه صادقاً على ابنه إذْ ليس غيره من أهله طُلب منه ركوب السّفينة وأبى، ومعنى هذا أنّ نوحاً – عليه السّلام– لا يجهل أنّ ابنَه كافرٌ، ولكنّه يطمع لعلّ الله أنْ يعفو عنه لأجل قرابته به – وقرينة ذلك كلّه قوله: " **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** " المفيد أنّه لا راد لما حكم به وقضاه. والاقتصار على هذه الجمل الثلاث[95] في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب؛ لأنّه لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التّأدب والتّردّد في الإقدام على المسؤول استغناءً بعلم المسؤول كأنّه يقول: أسألُك أم أتركُ ، كقول أميّة بن أبي الصّلت:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إنَّ شيمَتَكَ الحَياءُ [96]

وقد كان نوحٌ– عليه السّلام – غير منهيّ عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعه العلم بعدم المغفرة للكافرين، فكان حال نوحٍ–عليه السّلام– كحال النبي– صلّى الله عليه وسلّم– حين قال لأبي طالب: لأستغفرنّ لك ما لم أُنْه عنك" قبل أنْ ينزل قول تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾[97]

وتفرّع على ذلك نهيه أنْ يسأل ما ليس له به علم نَهيَ عتابٍ؛ لأنّه لمّا قيل له:" **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** "بسبب تعليله بأنّه عملٌ غيرُ صالح سقط ما مهّد به لإجابة سؤاله، فكان حقيقاً بأنْ لا يسأله وأنْ يتدبّر ما أراد أنْ يسأله من الله.

إذاً سؤالُ نوحٍ ربَّه بالمغفرة لابنه لم يظهر على مسرح الأحداث وإنْ مهّد له نوحٌ بالجمل الثلاث لاختبار حال إقبال الله على سؤاله، فكان قوله تعالى: "**فَلاَ تَسْأَلْنِ**" نهياً عن الإفضاء بالسؤال الذى مهّد له بكلامه، والمقصود من النّهى تنزيهه عن تعريض سؤاله للرد.[98] ؛ لذا عبّر القرآن الكريم عن منع سؤال نوح

من الظهور خارج قلبه إلى مسرح الأحداث وكتمانه مسلِّماً بما أمر الله بالمصدر المؤوّل ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾؛ ليضيف السّياق القرآنيّ دلالة جديدة إلى دلالات المصدر المؤوّل وهى عدم حدوث الفعل المُكوّن للمصدر المؤوّل، وأنّ استعاذة نوح معناه الانكفاف عن الإفضاء بالسّؤال[99]، فقوله تعالى: ﴿**فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ معناه أنّ "الحقّ سبحانه يطلب من نوحٍ هنا أنْ يفكّر جيّداً قبل أنْ يسأل، فلا غبار على الأنبياء حين يربيهم ربُّهم، والحقُّ سبحانه وتعالى وحدَه هو القادر على أن يمنع من قلب نوحٍ مثل هذا السّؤال، وهذه قمة التّسليم لله تعالى."[100]

ولنتناول آية أخرى تقارن فيها بين دلالة المصدر المؤوّل"**أنْ أسأل**"الذى سبق أنْ تعرضنا له آنفاً وبين دلالة المصدر الصّريح "**سؤال**" ليظهر دور السّياق في العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل، قال تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾

وبيان هذه الفتنة [101] أنّ داود النّبي الملك كان يخصّص بعضَ وقتِه للتّصرّف في شؤون المُلْك وللقضاء بين الناس، ويخصّص البعضَ الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب، وكان إذا دخل المِحْرَاب للعبادة والخَلْوَةِ لم يدخل إليه أحدٌ حتّى يخرجَ هو إلى النّاس، وفي ذات يوم فُوجِئ

بشخصين يتسوّران المِحْرَاب المغلق عليه، ففزع منهما، فما يتسوّر المِحْرَاب هكذا مؤمنٌ ولا أمين، فبادرا يُطَمْئِنَانَه " **قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ**" ، وبدأ أحدهما فعرض خصومته " **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** " أى: اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي، " **وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** " أي: شدّد عليّ في القول وأغلظ .

والقضيّة – كما عرضها أحد الخصمين – تحملُ ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، ومن ثمّ اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصّارخة، ولم يوجّه إلى الخصم الأخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة، ولكنّه مضى يحكم: " قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، وإنّ كثيراً من الخلطاء (أي الأقوياء المخالطين بعضهم لبعضٍ)– ليبغى بعضهم على بعضٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وقليل ما هم."

لقد ذكر القرآن الكريم قول أحد الخصمين " **أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** " أي: اجعلها لي، وفي ملكي وكفالتي، وشدّد عليّ في القول وأغلظ؛ لذا عبّر بما يقضية سياق الآيات حيث أشار للقول هذا بالمصدر الصّريح "**لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ** "، إنّ السؤال طُرِحَ على مسرح الأحداث، أمام محكمة داود، وكان فيه غلظة وشدّة فما كان من داود إلا أنْ عبّر بالمصدر الصّريح ليشعر معه القارئ أنّ أحد الخصمين قد سأل خصمه أنْ يعطيه نعجته، ولمّا رأى منه تمنّعاً اشتدّ عليه بالكلام وهدده. وبتجاور الآيتين يظهر الفارق الدلاليّ الذى أشرنا إليه : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ

الْحَاكِمِينَ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ **فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالَ رَبِّ **إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ **أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**{23} قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ **بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ** إِلَى نِعَاجِهِ﴾

إنّ نوحاً مهّد لما فيه قلبه من رغبة في السّؤال بجملٍ ثلاث، فمنعه الله أنْ يظهر ما في قلبه على لسانه فعبّر بالمصدر المؤوّل " **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** "، وإنّ أحد الخصمين شدّد في السّؤال وهدّد وغلب صاحبه فعبّر بالمصدر الصّريح" **لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ** "

أنْ يَسْتَغْفِرَ – اسْتِغْفَار

قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾التوبة:**113**

هذه الآية من سورة التّوبة نُسِخ بها التخيير الواقع في قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[102]

وجاءت هذه الآية عقب عرض نماذج من المنافقين وأحوالهم وأقوالهم ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ{75} فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ{76} فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ{77} أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ{78} الَّذِينَ يَلْمِزُونَ**

الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{79} اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ.....﴾(103)

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:" إنّما خيّرني الله تعالى: فقال ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً**﴾ وسأزيد على سبعين." (104)

والذى يظهر أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – لمّا أوحي إليه بآية سورة "المنافقون"﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ، سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ (105) بعثَتْه رحمتُه بالنّاسِ إلى أنْ يستغفرَ للمنافقين استغفاراً مكرراً عسى أنْ يَغْفِرَ الله لهم، ويزول عنهم غضبُه تعالى فيهديهم إلى الإيمان الحقّ، بما أنّ مخالطتهم لأحوال الإيمان ولو في ظاهر الحال – قد يجرّ إلى تعلّق هديه بقلوبهم بأقلّ سببٍ. وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يصلّي صلاة الجنازة على من مات من المنافقين؛ لأنّ صلاة الجنازة من الاستغفار، ولمّا مات عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد نزول آية سورة التوبة(**80**) سأل ابنه عبد الله بن عبد الله النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – أنْ يصلّي عليه، فصلى عليه كرامة لابنه ، قال عمر للنبيّ– صلّى الله عليه وسلّم: "قد نهاك ربّك أنْ تصلّي عليه، قال له على سبيل الردّ: " إنّما خيّرنى الله، أي ليس في هذه الآية نهي عن الاستغفار، فكان لصلاته عليهم واستغفاره لهم حكمة غير حصول المغفرة ولعل النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – أخذ بأضعف

الاحتمالين في صيغة(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)، وكذلك في لفظة عدد سبعين مرّة استقصاءً لمظنّة الرّحمة[106]، ثمّ أراد الله نسخ ذلك على سبيل التّدرّج على عادة التشريع في غالب الأحوال، ولعل الغرض الذى لأجله أبقى التخيير في الاستغفار لهم قد ضعف ما فيه من المصلحة، فنهى الله النبيَّ –صلّى الله عليه وسلّم– والمؤمنين معاً عن الاستغفار للمشركين بعد أنّ رخّص للنبيّ– صلّى الله عليه وسلّم – خاصّة في قوله:" استغفر لهم أو لا تستغفر لهم." [107]

وتعددت سبل التّعبير عن النّهى في قوله تعالى: " ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى**﴾ حيث جاءت صيغة النّهي بطريق نفي الكون مع لام الجحود مبالغة في التّنزّه عن هذا الاستغفار ثمّ عبّر بالمصدر المؤوّل " **أَن يَسْتَغْفِرُواْ** " ليعطي دلالة انتفاء الحدث من قلوب النّبي والمؤمنين، وأنّ ما كان مرخّصاً صار منهيّاً عنه، وزاد" **وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى** " للمبالغة في استقصاء أقرب الأحوال إلى المقدرة، ثمّ عقّب بمصدرٍ صريحٍ "استغفار" يماثل لغويّاً المصدر المؤوّل السابق " أنْ يستغفر"، ولكنّه لا يماثله في الدّلالة، فكما تناغم المصدر المؤوّل "**أَن يَسْتَغْفِرُواْ** " داخل سياق الآية لإظهار المبالغة في النّهى عن الاستغفار، جاء المصدر الصّريح ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**﴾ التوبة:**114**؛ ليشيرَ إلى أنّ إبراهيم قد استغفر لأبيه بالفعل، وأنّ الاستغفار قد وقع، وذكر ذلك في القرآن الكريم: ﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء{39} رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء{40} رَبَّنَا**

اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [108]**﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾**[109]

إنّ استغفارَ إبراهيم لأبيه كان بسبب وعده له أنْ يستغفر له الله لعلّه يهديه، كما هو واضحٌ في آيات القرآن ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً{46} قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً** ﴾ [110]، إنّ هذا الوعد وما ترتّب عليه من دعاء إبراهيم لأبيه بالمغفرة "**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**" "**وَاغْفِرْ لِأَبِي** " أشار إليه القرآن وعبّر عنه بالمصدر الصّريح الذى يعطينا دلالة قاطعة على وقوع الحدث وأنّه لا احتماليّة لنفيه، ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ وهنا يُظْهر السّياق دلالة العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل في آيتين متتاليتين من سورة التّوبة.

أنْ تعدلوا – العدل

قال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ{89} إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾النحل:**90،89**

لمّا جاء أنّ هذا القرآن تبيانٌ لكلِّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، حَسُنَ التّخلّص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلاميّ العائدة إلى الأمر والنهي، إذْ الشريعة كلّها أمرٌ ونهيٌ، والتّقوى منحصرةٌ في الامتثال والاجتناب، فهذه الآية جامعةٌ أصولَ التشريع[111]؛ لأنّ هذا الكتاب جاء لينشِئ أمّة وينظّم مجتمعاً، جاء دعوة عالميّة إنسانيّة لا تعصّب فيها لقبيلة، أو أمّة، أو جنس، إنّما العقيدة وحدَها هى الآصرة، والرابطة، والقوميّة والعصبيّة، ومن ثمّ جاء بالمبادئ التي تكْفُلُ تماسك الجماعة والجماعات، جاء " **بِالْعَدْلِ** " الذى يكْفُلُ لكلّ فردٍ، ولكلّ جماعةٍ ولكلّ قومٍ قاعدة ثابتة للتّعامل لا تميل مع الهوى، ولا تتأثّر بالودّ والبغض، ولا تتبدّل مجاراةً للصّهر والنّسب والغنى والفقر، والقوّة والضّعف ، إنّما تمضي في طريقها تكيل بمكيالٍ واحدٍ للجميع، وتزن بميزانٍ واحدٍ للجميع[112]. إنّ الآية الجامعة لأصول التشريع ومبادِئ تماسك الجماعة ومعاملتهم بقواعد ثابتة يناسبها التعبير بالمصدر الصّريح " **العَدْل** " المتناغم مع معطيات السّياق القرآنيّ، حيث افتتاح الجملة بحرفِ التوكيد للاهتمام بشأن ما حوته، وتصديرها باسم الجلالة للتشريف، وذكر " **يَأْمُرُ** " و"**يَنْهَى**" للتشويق، وعبّر بالمصدر الصّريح " **العَدْل– الإحسان– إيتاء**"؛ ليناسب حالة إقرار قواعد التّشريع

الثّابتة الجامعة، قال ابن مسعود لمّا نزلت هذه الآية:"أجمعُ آيات القرآن للخير هذه الآية[113]؛ لأنّها جمعت كلّ الفضائل التى يمكن أنْ تكون في القرآن الكريم.

فإذا ما جاء القرآن للحديث عن معاملة الزوج لزوجاته، وهو أعلم بمن خلق ﴿ألا َ**لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[114]، فإنّنا نجد أنفسنا أمام منهجٍ فريدٍ يواجه واقعَ النّفسِ البشريّةِ وملابسات الحياة البشريّة ، بالواقعيّة المثاليّة ، أوالمثالية الواقعيّة، ويعترف بما هو كامن في تركيبها من ازدواج عجيب فريد: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** ﴾[115]

لقد عدل القرآن عن التّعبير بالمصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل؛ لنشعر معه أنّ هناك عدلاً لن يتحقّق وهو العدل الحُبّيّ أو القلبيّ، وعدلاً يتحقّق وهو الماديّ، إنّ انتقاء العَدْل لن يكون كلّيّة بين الزوج وزوجاته؛ لذا لم يقل: " لن تستطيعوا العَدْل بين النّساء "، فالله الذى فطر النفس البشريّة يعلم من فطرتها أنّها ذات ميولٍ لا تملكها، ومن هذه الميول أنْ يميل القلب البشريّ إلى إحدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات فيكون ميلُه إليها أكثر من الأخرى أو الأخريات، وهذا ميلٌ لا حيلة فيه، ولا يملك محوه أو قتله..... فماذا ؟ إنّ الإسلام لا يحاسبه على أمرٍ لا يملكه، ولا يجعل هذا إثماً يعاقبه عليه، فيدعه موزّعاً بين ميلٍ لا يملكه وأمرٍ لا يطيقه، بل إنّه يصارح النّاس بأنّهم لن يستطيعوا أنْ يعدلوا بين النّساء – ولو حرصوا – ؛ لأنّ الأمر خارج عن إرادتهم، **ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم** ، هناك **العدل في المعاملة، العدل في القسمة، العدل في النّفقة ، العدل في الحقوق الزوجيّة كلّها ، حتّىالابتسامة في**

الوجه، والكلمة الطيبة باللسان ، هذا ما هم مطالبون به[116] إن دقة التعبير القرآنى لَتُبْهرُ العقول وتأخذ بنواصي القلوب حين يعبّر عما هو ثابتٌ ومقررٌ من أصول التشريع بالمصدر الصّريح "العَدْل"، ويعدل عنه في أمر به تعدديّة واحتماليّة التّحقّق في معاملة الزوج لزوجاته، فنفْيُ الاستطاعة بين النّساء ليس على إطلاقه، ولكنّه في ميل الطّبع بالمحبّة، أمّا المنهيّ عنه فهو الميل في المعاملة الظّاهرة، وكان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وهو يقسّم بين نسائِه فيما يملك ويعدل في هذه القسمة لا ينكرُ أنّه يؤْثر بعضهن على بعض، وأنّ هذا خارجٌ عمّا يملك، فكان يقول:– صلّى الله عليه وسلّم –: "اللهمّ هذا قَسْمي فيما أملك فلا تَلُمني فيما تملِكُ ولا أملِكُ"[117]، وكان ذلك؛ لأنّ أمر النّساء يغالب النّفس، حيث جعل الله سبحانه وتعالى حُسْنَ المرأة وخُلقها مؤثّراً أشدّ التأثير، فرُبّ امرأةٍ لبيبةٍ خفيفةِ الروح، وأخرى ثقيلة حمقاء فتفاوتهنّ في ذلك وخلوّ بعضهنّ منه يؤثّر لا محالةَ تفاوتاً في محبّة الزوج بعض أزواجه." [118]

أَن تَتَّخِذَ –اتِّخَاذ

قال تعالى:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً{83} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً{84} فَأَتْبَعَ سَبَباً{85} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً**﴾ الكهف **83 – 88**

بدأت الآيات الكريمات بالحديث عن ذى القرنين بشيء عنه: "**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً** "، لقد مكّن الله له في الأرض فأعطاه سلطاناً وطيدَ الدعائم، ويسّر له أسباب الحُكْمِ والفَتْحِ ، فمضى في وجهٍ مما هو ميسّر له، وسلك طريقه إلى الغرب فرأى الشمس " **تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**" و"الحمأ" هو مكان تكثر فيه الأعشاب ويتجمّع حولها طينٌ لزجٌ، عندها وجد ذو القرنين قوماً: " **قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً**"، وقد دلّ هذا القول على أنّهم مستحقّون للعذاب، فدلّ على أنّ أحوالهم كانت في فسادٍ من كفرٍ وفسادِ عملٍ [119] فخيّره الله تعالى بين أنْ يعذّبهم وأنْ يدعوهم إلى الإيمان، " **قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ** " بالقتل من أوّل الأمر " **وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً** " وذلك بالدعوة إلى الحقّ والإرشاد، حالة التخيير هذه ناسبها العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل فلم يقل: " إمّا التّعذيبُ وإمّا اتّخاذُ الحُسْنَى فيهم " كما أوّله بعض المفسّرين والمعربين[120]؛ لأنّ الله ألقى في نفس ذي القرنين تردداً بين أنْ يبادر استئصالهم، وأنْ يمهلهم ويدعوهم إلى الإيمان وحُسْن العمل، ويكون قوله:"

قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ " جواباً منه إلى ربّه، أي: قال في نفسه معتمداً على حالةٍ وسط بين صورتي التّردد. واجتلاب حرف الاستقبال في قوله: " **أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ** " يشير إلى أنّه سيدعوه إلى الإيمان فإنْ أصرّ على كفره يعذّبه، وقد صرّح بهذا المفهوم في قوله : " **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً** " أي من بعد كفره.[121]

وفي حديث القرآن عن قصّة اتّخاذ بني إسرائيل للعجل وعبادته في غيبة موسى – عليه السلام – عندما ذهب إلى ميعاد ربّه على الجبل ، عبّر بالمصدر الصّريح عما فعله بنو إسرائيل ليشير إلى ثبات ووقوع فعلهم وبشاعته، قال تعالى:﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾البقرة:**50-54**

إنّ الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يُمَحِّص بني إسرائيل ويبيّن لنا كفرهم بنعم الله، فالله نجّاهم من آل فرعون، ولم يكادوا يعبرون البحر حتّى رأوا قوماً يعبدون الأوثان فطلبوا من موسى– عليه السّلام – أنْ يتّخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[122]، إنّه خللٌ في عقيدة بني إسرائيل، ومن أجلِه كان لابدّ من منهجٍ ربانيٍّ يسيرون عليه، فتمّ إعداد موسى لنفسه في أربعين ليلة لحمل الرسالة الموعودة. وقصّة اتّخاذ بني

إسرائيل العجلَ وعبادته في غيبة موسى – عليه السلام– مفصّلة في سورة طه السابقة النزول في مكّة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى{83} قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى{84} قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ{85} فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي{86} قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ{87} فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ** ﴾ [123]

إنّ الله سبحانه يذكّر بقصّة اتّخاذ العجل في سورة البقرة، وأنّه لم يكن بدٌّ من التّطهير القاسي تبياناً للعفو المذكور[124] " **ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم** "، حيث قال موسى – عليه السلام – " **إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ** "؛ لذا كان التعبير بالمصدر الصّريح "اتّخاذ" مناسباً للسّياق القرآنيّ الذى أشار للقصّة في أكثر من موضع وفصّلها في سورة طه كما ذُكر آنفاً، فهو أمرٌ مقررٌ ثابتٌ مقطوعٌ بحدوثه، وكما عبّر عنه في الآية الثالثة والتسعين من سورة البقرة ﴿**وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ{92} وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [125] ، ولنقف لحظة أمام التعبيرين المصوّرين العجيبين: " **قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** "، "**وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** "، إنّهم قالوا سمعنا، ولم يقولوا عصينا، إنّه تصوير حيٌّ للواقع الصّامت كأنّه واقعٌ

ناطقٌ، لقد قالوا بأفواههم سمعنا، وقالوا بأعمالهم عصينا ، وأمّا الصّورة الغليظة التي ترسمها " **وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** " فهى صورةٌ فريدةٌ تشير إلى حبّهم الشديد لعبادة العجل حتّى لكأنّهم أشربوه إشراباً في القلوب[126]، إنّ السّياق القرآنيّ متكاملٌ ومتناغمٌ، وما كان ليعبّر عن حبّهم الشّديد هذا للعجل إلا بمصدرٍ صريحٍ – **اتّخاذ**– يناسب هذا التعبير القرآنيّ المصوّر .

أنْ يفتنكم – فتنة

قال تعالى:﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً**﴾[127]

تتحدّث الآية الكريمة[128] عن رخصةٍ يبيحها الله للمهاجرين، أو الضّاربين في الأرض للجهاد، أو للتّجارة، أو الحجّ والعمرة، وما ضارعها من صلةِ رحمٍ وإحياءِ نفسٍ في حالة خوفهم ، وهى قَصْرُ الصّلاة ، فما أحوج الخائف في الطريق إلى أنْ يطمئن قلبه بذكر الله ، وما أحوج المهاجر من أرضه إلى أن يلتجِئ إلى حمى الله، غير أنّ الصّلاة الكاملة وما فيها من قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ قد تلفت إليه أنظار عدوه فيعرفوه، أو قد تمكّن لهم منه وهو راكعٌ أو ساجدٌ فيأخذوه، ومن ثمّ هذه الرّخصة للضّارب في الأرض أنْ يقصر من الصلاة عند مخافة الفتنة.

وبدأ المولى سبحانه وتعالى الآية بـ " **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ** " بما توحي به "إذا" من أنّه لا غنى للمسلمين عن الضّرْب في الأرض لأسباب عدّه فـ "إذا" تدخل على الذى تيقّن وقوعه أو رجح، وتعطي مع جملتها دلالة الاستمرار[129]، وجاء

قولـه تعـالى: ﴿**فَلَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُنَـاحٌ أَن تَقْصُـرُواْ** ﴾ ليعبّر[130]عن التخيير بين القصر والإتمام، وروى عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أنّه أتمّ في السّفر، وعن عائشة رضي الله عنها: "اعْتَمَرْتُ مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – من المدينة إلى مكّة، حتّى إذا قدمت مكّة قلتُ: يارسول الله بأبي أنت وأمي قصرتُ وأتممتُ، وصمتُ وأفطرتُ، فقال: " أحسنتِ ياعائشة، وما عاب عليّ " ؛ لذا عبّر القرآن بـ" **فَلَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُنَـاحٌ** "، ثمّ أعقب ذلك بمصدرٍ مؤوّل " **أَن تَقْصُـرُواْ** "؛ لنشعر معه بعدم وجوب القَصْر، وعدل في الآية عن المصدر الصّريح " فليس عليكم جناح في قَصْر الصّلاة " كما قدّره بعض المفسرين[131]، ثمّ استخدم أداة الشرط " إنْ " في قوله: ﴿**إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ فهي لا تستعمل إلا في المعانى المحتمَلة [132]، فالخوف من فتنةِ الذين كفروا ليس مقطوعاً به في كلّ سفرٍ، فكان التعبير بـ " إنْ " لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها[133]، ثمّ التّعبير بالمصدر المؤوّل " **أَن يَفْتِنَكُمُ** "، والعدول عن المصدر الصّريح "فِتْنَة "؛ ليسير النّسق القرآنيّ في لون دلاليٍّ واحد يبدأ بـ " إنْ " الشرطيّة، ويستكمله بالمصدر المؤوّل " **أَن يَفْتِنَكُمُ** " ، قال يَعْلَي بنُ أميّة : قلت لعمر: مالنا نَقْصُر وقد أمِنّا، فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عن ذلك فقال: " صدقةٌ تصدّق الله بها عليكم، فاقْبَلُوا صدقتَه."[134] فالأمن والخوف أمران محتمَلان لا نستطيع القطع بأحدهما، والخوف من الفتنة يزول في حالات الأمن والاستقرار ؛ لذا لم يعبّر القرآن الكريم عن هذه المعاني بـ" إذا خفتم فِتْنَةَ الذين كفروا " وعدل عنها بقوله: ﴿**إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾

فإذا ما تحدّث المولى عزّ وجلّ عن أمرٍ متيقنِ الوقوع، وقد قطع علاّم الغيوب سبحانه بهذا الأمر عدل عن المصدر المؤوّل " أنْ يَفْتِنَ " إلى المصدر الصّريح فِتْنَة، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾المائدة: **41**

تتحدّث كتب التّفاسير[135] عن سبب نزول هذه الآية، وأنّها نزلت في السّنوات الأولى للهجرة حيث كان اليهود ما يزالون بالمدينة، وأنّهم – اليهود – اختلفوا في حدّ الزّاني (حين زنى فيهم رجلٌ بامرأةٍ من أهل خيبر أو أهل فَدَك، بين أنْ يُرْجَمَ وبين أنْ يُجْلَدَ ويحمّ (يلطّخ وجهه بالسواد) اختلافاً ألجأهم إلى أنْ أرسلوا إلى يهود المدينة أنْ يحكّموا رسول الله في شأن ذلك، وقالوا: إنْ حكم بالتحميم قبلنا حُكْمَه، وإنْ حكم بالرّجم فلا تقبلوه، وأنّ رسول الله قال لأحبارهم بالمدينة: " ما تجدون في التّوراة على من زنى إذا أحصن، قالوا: يحمّ ويجلد ويطاف به ، فكذّبهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأعلمهم بأنّ حُكْمَ التوراة هو الرّجم على من أحصن، فأنكروا، ومن هنا حكاية قولهم: " **إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ** " ، وهكذا بلغَ بهم العبث، وبلغ بهم الاستهتار، وبلغ منهم الالتواء أيضاً في التّعامل مع الله والتّعامل مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – هذا المبلغ ، وذلك بأنّهم يسارعون في الكفر، ويظهرون آثاره عند أدنى

مناسبة وفي كلّ فرصة، هؤلاء" **مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ** " فهم " **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** "، والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله في شأن هؤلاء المسارعين بالكفر، وفي شأن هؤلاء المتآمرين المبيّتين لهذه الألاعيب:" **لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ** " ، فهم يسلكون سبيل الفِتْنَةِ وهم واقعون فيها ، وليس لك من الأمر شيء، وما أنت بمستطيع أنْ تدفعَ عنهم الفِتْنَةَ، وقد سلكوا طريقها ولجّوا، " **وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً** "، هذا المعاني التي تشي بأنّ علاّم الغيوب قد قطع بأمر الفِتْنَةِ لهؤلاء المنافقين يناسبها التعبير بالمصدر الصّريح " **فِتْنَتَهُ** " ، "فإرادة الله فِتْنَة المفتون قضاؤها في الأزل"[136]، وعلامة ذلك التقدير عدم إجداء الموعظة والإرشاد فيه " **فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً** "، يقول الطّبري في تفسيره: "لا يحزنك تسرُّعهم إلى جحود نبوّتك ، فإنّي قد ختمت عليهم أنّهم لا يتوبون من ضلالتهم، ولا يرجعون عن كفرهم للسّابق من غضبي عليهم." [137]

والفِتْنَةُ لفظٌ محتمل لجميع أنواع المفاسد، إلا أنّه لمّا كان هذا اللفظ مذكوراً عقيب أنواع كفرهم التي شرحها الله تعالى وجب أن يكون المراد من هذه الفِتْنَةِ تلك الكفريات التي تقدّم ذكرها، وعلى هذا التقدير فالمراد: "ومن يرد الله كفرَه وضلالته فلن يقدرَ أحدٌ على دفعِ ذلك عنه."[138]

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ.

وبعدُ،،،،

فإنّ لكلّ بحثٍ نتائجَ يهدف إليها، وبحثي هذا "**العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل في القرآن الكريم دراسة دلاليّة**" سعيتُ فيه إلى الكشف عن النّكت الدلاليّة لعدول القرآن الكريم عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في صيغٍ من جذرٍ واحدٍ من خلال السّياق القرآنيّ، واستقراء نصوصه، معتمِداً في ذلك على كتب التّفاسير المختلفة، ومراجع النّحو العديدة، حيث استثارني ذلك العدول في آياتٍ متجاوراتٍ بما يشي بدقّةٍ لُغويّةٍ تبهر العقول وتأخذ بنواصي القلوب، وأنّ الأمر لم يوضع اعتباطاً . ومن النتائج التي توصّل البحث إليها من خلال استقراء النّصّ القرآنيّ بنظرة دلاليّة سياقيّة ما يأتي:

1- يعدل السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح ويعبّر بالمصدر المؤوّل إذا ارتبط الحدث باحتماليّة الوقوع كقوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ **أَن يَقْتُلُونِ**{14} قَالَ **كَلَّا**﴾، و﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ **أَن يَفْتِنَكُمُ** الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾

أو ارتباط الحدث باختيار في أداء الفريضة، أو الأمر الإلهيّ، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ **وَأَن تَصُومُواْ** خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ **وكقوله تعالى:** ﴿حُرِّمَتْ

عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ **وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ** إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ **و**﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ **أَن تَأْخُذُواْ** مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ **و** ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا **أَن تُعَذِّبَ** وَإِمَّا **أَن تَتَّخِذَ** فِيهِمْ حُسْناً﴾

أو أنّ الأمر أو الواقعة لم تحدث إلا مرّة واحدة، ولم تتكرر كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ **أَنْ خَلَقَكُم** مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ{20} وَمِنْ آيَاتِهِ **أَنْ خَلَقَ** لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

أو أنّ الحدث لم يظهر على مسرح الأحداث إطلاقاً، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ **أَنْ أَسْأَلَكَ** مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ و ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ **أَن يَسْتَغْفِرُواْ** لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

أو أنّ للحدث أجلاً محدداً ينقضي بعده ولا يستمرّ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ **أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ** بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾

أو يعبّر القرآن بالمصدر المؤوّل عن أمرٍ يتحقق منه جانبٌ ولا يتحقق الجانب الآخر كقوله سبحانه: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ **أَن تَعْدِلُواْ** بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾

حيث هناك عدلٌ لا يتحقق، وهو العدل الحُبّيّ أو العدل القلبيّ، وهناك عدلٌ يتحقق وهو العدل الماديّ.

2- يعبّر السّياق القرآنيّ بالمصدر الصّريح إذا كان الحدثُ واقعاً لا محالة كقوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ **قَتْلَ** أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ **بِسُؤَالِ** نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾، و ﴿ وَمَا كَانَ **اسْتِغْفَارُ** إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ و ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ **بِاتِّخَاذِكُمُ** الْعِجْلَ﴾ و﴿وَمَن يُرِدِ اللّهُ **فِتْنَتَهُ** فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً﴾

أو كان فرضاً من العبادات المفروضة أو أمراً إلهياً لا اختيار فيها، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ **الصِّيَامُ**﴾ ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ **بِالْعَدْلِ** وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى﴾

أو دلّ على قدرة هائلة بها يقينٌ وثبات واستمراريّة، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ **خَلْقُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى **جَمْعِهِمْ** إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ **أَخْذُ** رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ **أَخْذَهُ** أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

ومن تلك الإشارات الدلاليّة داخل نطاق البحث وخاتمته تظهر لنا علّة العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل من خلال نصوص القرآن الكريم المتّسمة بالدّقة اللّغويّة والدلاليّة، ومعها نستحضر قوله تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾

وأخيراً أدعو الله أنْ يجعل تلك التأمّلات والقراءات في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وأنْ ينفع بها المسلمين أجمعين ، آمين.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

الهوامش

1. د. إسلام عبد السّلام، **اسم الفاعل بين التّنوين والإضافة في القرآن الكريم (دراسة دلاليّة)**، مجلّة كلّيّة دار العلوم– جامعة الفيوم، العدد "20"، 2008م.
2. د. إسلام عبد السّلام، **أثر السّياق في بيان الأوجه الإعرابيّة "دراسة تطبيقيّة على آي القرآن الكريم"** ، مجلّة كلّيّة دار العلوم، جامعة القاهرة، "العدد "60، 2011م.
3. التّوبة: 113 – 114.
4. الرّوم:20–22.
5. د. رجب حجّاج، **المصدر المركّب في القرآن الكريم دراسة نحويّة دلاليّة**، مجلّة كلّيّة دار العلوم ، جامعة الفيوم، 2011م، ص3.
6. طالع مادة " عدل "في: ابن منظور ، لسان العرب،ط1، دار صادر، بيروت، لبنان،2000م ، و الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: د. محمّد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصريّة.
7. الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د. ت،ج 2/38– 39 .
8. الأزهريّ ، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السّلام هارون، الدار القوميّة العربيّة للطباعة، مصر، 1384هـ ، 1964م،ج 2 /209 .
9. ابن السّرّاج، **الأصول في النّحو**، ط2،تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، ، 1407هـ، 1987م، ج 2/88 .

10. الجرجاني، **المقتصد في شرح الإيضاح**، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، العراق، 1982م، 1007 وما بعدها .

11. ابن عقيل،**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: ح.الفاخوري، دار الجيل بيروت، ط1، د.ت،383/1 .

12. د. محمّد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوب**، ط1، مكتبة لبنان، لونجمان، 1994م، ص268.

13. د. عبد الحميد هنداوي، **الإعجاز الصّرفيّ في القرآن الكريم**" دراسة نظريّة تطبيقيّة"، ط1، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، 1422هـ، 2001م، ص141.

14. د. عبد العزيز عبد الله، **ظاهرة العدول بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّة الحديثة** " رسالة دكتوراه"، كلّيّة الآداب، جامعة الموصل، 1419هـ، 1990م،ص 37 .

15. (15)ابن منظور، **لسان العرب** مادّة (ص،د،ر).

16. السّهيلي، **نتائج الفكر في النّحو**، تحقيق: الشّيخ عادل عبد الموجود، الشّيخ على معوض،ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1412هـ، 1992م، ص53، 58.

17. عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ط13، دار المعارف، القاهرة، د.ت،ج181/3.

18. طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **ارتشاف الضّرب من لسان العرب**، تحقيق: د.رجب عثمان محمّد ، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1428هـ، 1998م،ص991، 992، عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ج1/407 .

19. عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، طبعة مكتبة الأسرة، 2000م، ص81.

20. سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1408هـ، 1988م، ج1/25،26.

21. ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، تحقيق: على بن محمّد العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، د. ت، ج4/1314 .

22. عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ج1/417 ، 418 .

23. د. طه الجندي، **المصدر المؤوّل بحث في التركيب والدلالة**، دار الثقافة العربيّة، ص62 وما بعدها " بتصرّف"

24. طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ط1، تحقيق الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود وأخرين، دار الكتب العلميّة،بيروت، 1413هـ، 1993م، ج3/476 وما بعدها، أبا السعود محمد بن العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(**تفسير أبي السعود**) ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د. ت،ج2/38 وما بعدها ، **الرّازي**، **تفسير الفخر الرّازي**(المشتهر بالتّفسير الكبير) ، ط1، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت، 1401هـ، ج11 / 208 وما بعدها ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه**

التأويل،تحقيق: يوسف الحماديّ،مكتبة مصر، الفجالة، د.ت.ج21/2، السّمين الحلبيّ، **الدّرّ المصون في علم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د.ت، ج240/4 وما بعدها ، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج874/15 وما بعدها، تفسير **الشّعراوي**، ج3067/5، **تفسير الطبري** 8/ 323، ابن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، الدار التّونسيّة للنشر، 1984م، ج168/6 وما بعدها.

25. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2590/51.

26. طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج9/7، أبا السعود العمادي، **إرشاد العقل السليم**،ج 237/6.

27. الزّجاج ،**معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتاب، بيروت، ، 1408هـ، 1988م،ج85/4، وطالع القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: د.عبد الله التّركي، ط1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1427هـ، 2006م، ج14/16.

28. ابن عاشور، التّحرير والتّنوير ،ج 135/2.

29. البقرة: 178.

30. البقرة: 180.

31. البقرة: 183.

32. البقرة:216.

33. البقرة: 246.

34. البقرة: 246.

35. طالع الآلوسيّ البغدادي، شهاب الدين السيّد محمود، **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت، ج59/2، أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج42،43/2، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج199/1، **تفسير الرّازى**، ج85/5، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج171/2، محمّد متولي الشّعراوي، **تفسير الشّعراوي**، طبعة دار أخبار اليوم، ج770/2 ، ابن عاشور ،**التّحرير والتّنوير**،ج162/2.

36. طالع القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج149/3.

37. ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**،ج 294/4.

38. النّساء:22.

39. تفسير **الرّازى**، ج37/10، الزّجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، 35/2، الزمخشريّ، **الكشّاف** 434/1، السّمين الحلبيّ، **الدّرّ المصون**،ج645/3.

40. القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج 197/6 .

41. **تفسير الشّعراوي**، ج2109/4.

42. طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**،ج 221/3 ، ابن عطيّة الأندلسيّ ،**المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السّلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ، 2001م،ج31/2.

43. **تفسير الرّازى**، ج37/10،الزّجاج، **معانى القرآن**،ج 35/2، الزّمخشري، **الكشّاف**، ج434/1، السّمين الحلبي، **الدّرّ المصون**،ج645/3.

44. ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج301/4 .

45. الشّورى:29.

46. الشّورى:28-32.

47. طالع سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 3158/63.

48. سنشير لاحقاً إلى أنّ الآيات القرآنيّة عرضت لصورة من صور الخلق عدل فيها السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في قوله تعالى :" **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ{20} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**" الرّوم:20،21 طالع ص19من هذا البحث .

49. طالع سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج3158/63 .

50. الرّوم: 20، 21.

51. الرّوم :22.

52. الرّوم : 25.

53. المؤمنون: 12.

54. ص:71 .

55. الحجر: 28 .

56. لجنة من علماء الأزهر،**الوسيط في تفسير القرآن**، مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر، ط1، 1400هـ، 1980م المجلد الثاني، الحزب السابع والعشرون ص 537 .

57. المؤمنون :12 – 14.

58. الرّوم: 21.

59. طالع في ذلك الآلوسي، **روح المعاني** 30/21 ، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**،ج 56/7، إسماعيل بن عمر ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ط2، دار طيبة، الرياض ، 1420هـ، 1999م، ج 309/6.

60. النّساء:1

61. الأعراف:189 .

62. مسلم النيسابوري، الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق:أبو قتيبة الفاريابي،ط1، دار طيبة، الرياض، 1427هـ، 2006م.كتاب الرضاع، باب الوصيّة بالنّساء، ص 672، رقم (1468) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

63. ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج215/4 وطالع الآلوسي، روح المعاني،ج 182،181/4 ، وتفسير ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج206/2.

64. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 574/9، وطالع أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** 302/3 ، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1411/26. **تفسير الشّعراوي**،ج 4513/8، ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم** 524/3.

65. الآلوسي، **روح المعاني**، ج182/4.

66. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج575/9.

67. النّساء:82.

68. طالع ص17 من هذا البحث.

69. الرّوم:22.

70. لقمان:10.

71. الرّوم : 8

72. الآلوسي، **روح المعاني**،ج 35/21، وطالع أبا السعود ،**إرشاد العقل السليم**، ج57/7، 58.

73. الرّوم:8، قال تعالى: " **مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى** "

74. الأنبياء :104

75. ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**،ج 17/ 158.

76. سيّد قطب، **في ظلال القرآن** ،ج47/ 2399 .

77. سيّد قطب، **في ظلال القرآن، ج4**/247، وطالع **تفسير الرّازى**،ج106/6، ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج 306/1 .

78. الإمام الحافظ أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، تحقيق: أبو عبد الله علوش، ط2، مكتبة الرشيد، الرياض، 1427هـ، 2006م، كتاب الطلاق، باب الخُلع، ص754، رقم (527)، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج248/4 وطالع **تفسير الرّازى**،ج 109/6، الطبري، محمّد بن جرير **تفسير الطبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): تحقيق د. عبد الله التركي وأخرين، هجر للطباعة والنشر،القاهرة، 1422هـ،2001م،ج138/4 وما بعدها ، والقرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج79/4 وما بعدها.

79. السّمين الحلبي، **الدّرّ المصون**، ج446/2.

80. طالع الزّمخشري، **الكشّاف**،ج 248/1، وطالع ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**،ج410/2 ،ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج 307/1 .

81. هود: 102 .

82. هود : 101 – 102 .

83. طالع في ذلك سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 36/ 1870 وما بعدها، **في ظلال القرآن**،ج 37/ 1926 وما بعدها .

84. هود : 44.

85. هود: 58 – 60 .

86. هود: 100 – 102 .

87. البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، كتاب التفسير–سورة هود، ص 647، رقم (4686)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البرّ والصّلة والآداب، ص1200 رقم (2583).

88. **تفسير الشّعراوي**،ج 6673/11 .

89. هود: 42 – 47 .

90. طالع في ذلك ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير** ج12/ 83 ما بعدها .

91. مريم: 3، 4.

92. الزّمخشري، **الكشاف**،ج 406/2.

93. المائدة: 6، وطالع الزّمخشري، **الكشّاف**،ج 10/2 في حديثه عن التعبير عن إرادة الفعل بالفعل .

94. الكلام في ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**،ج 12/ 84 .

95. "**إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي** " **وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ** " " **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**"

96. أُمَيَّة بن أبي الصّلت، ديوان أُمَيّة بن أبي الصّلت، ط1، تحقيق: د. سجيع جميل، دار صادر ، بيروت، 1998م، ص17، وطالع أبا بكر محمّد بن الحسن بن دريد، **الاشتقاق**، ط1، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1411هـ، 1991م،ص 143 .

97. التّوبة: 112.

98. طالع ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج12/ 87 .

99. المرجع السابق، ج12/ 88 .

100. تفسير **الشّعراوي**، ج11/ 6485

101. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 60/ 3018.

102. التّوبة : 80 .

103. التّوبة 77- 80 .

104. البخاريّ، **صحيح البخاريّ** كتاب التفسير- التوبة، ص 643، رقم (4670)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، ص1125، رقم (2400) .

105. المنافقون :5.

106. طالع أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج 77/5 وما بعدها، أبا السّعود، **إرشاد العقل السليم** ج87/4 ، **تفسير الرّازى**،ج 49/16 وما بعدها، **تفسير الشّعراوي**،ج 5366/9 وما بعدها، ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**، ج 277/10 وما بعدها.

107. ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**، ج11/ 44.

108. إبراهيم: 39- 41 .

109. الشّعراء: 86.

110. مريم : 46 – 47 .

111. ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**،ج 14/ 254.

112. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 2190/42

113. القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج 412/12 .

114. الملك : 14 .

115. النّساء : 129 .

116. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 770/13 وطالع الآلوسي، **روح المعاني**،ج 163/5 ، **تفسير الشّعراوي**،ج 2689/5 ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**،ج 218/5.

117. أبو داود، سنن أبي داود ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرين، دار الرسالة العالميّة، دمشق، 2009م، 1430هـ، ج3/ 469، رقم(2134)، وطالع الآلوسي، **روح المعاني**،ج 163/5، أبا حيّان، **البحر المحيط**،ج381/3،تفسير **الرازي**، ج11/ 68، السّيوطي، جلال الدين، **الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور**،، ط1 تحقيق: د.عبدالله التركيّ وأخرين، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، القاهرة ، 1424هـ، 2003م، ج70/5.

118. ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،ج 218/5.

119. طالع الآلوسي، **روح المعاني**،ج 44/16 ، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** ج 242/5 ، ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**،ج26/16.

120. طالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج34/16 ، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** ج 242/5، 243 ، الدرويش، محيي الدّين، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، ط7،دار ابن كثير للطّباعة والنّشر، بيروت ، 1420هـ، 1999م المجلد الرابع 540/16، تفسير **الرّازى**،ج 168/21، الفرّاء، يحيى بن زكريا ، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ، 1983م، ج158/2 القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج 372/3 .

121. طالع أبا حيّان، **البحر المحيط**،ج 152/6، **تفسير الشّعراوي**، ج8983/14 وما بعدها، ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**،ج 26/16، 27.

122. الأعراف : 138 .

123. طه : 83 –88 .

124. طالع الآلوسي، **روح المعاني**،ج 259/1، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** ج 102/1.

125. البقرة:93 .

126. سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 91/2 .

127. النّساء:101 .

128. طالع الآلوسي، **روح المعاني**،ج 131/5 ، أبا حيّان، **البحر المحيط**،ج 353/3 ، تفسير **الرّازي**،ج 17/11، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 747/12، القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج 72/7 .

129. طالع رضي الدين، **شرح الكافية** تحقيق: يوسف حسن عمر،مطبعة الجامعة الليبيّة،د. ت.3 /185، الزركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1408هـ، 1988م،ج 374/2، سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ، 1988م ،ج 58/3، عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ج 279/2 ، عضيمة، محمّد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** ، دار الحديث، القاهرة، د.ت،

ج173/1، المبرد، محمّد بن يزيد، **المقتضب**،تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، القاهرة، 1415هـ، 1994م، ج 54/2 وما بعدها .

130. طالع الآلوسي، **روح المعاني**،ج 132/5، تفسير الرّازى،ج18/11، الزمخشريّ، **الكشّاف**،ج 484/1، القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج73/7 .

131. السّمين الحلبي، **الدّرّ المصون**، ج83/4 .

132. طالع رضي الدين، **شرح الكافية**،ج 185/3، الزركشي، **البرهان**،ج374/2، سيبويه، **الكتاب** 58/3، عضيمة، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**،ج628/1، المبرد، **المقتضب**،ج 54/2 وما بعدها.

133. رضي الدين، **شرح الكافية**،ج185/3 .

134. القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج 9/7

135. طالع أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج498/1، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**،ج 892/15 وما بعدها، الطّبري، **تفسير الطبري**، ج413/8 وما بعدها، ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**،ج 194/6 وما بعدها ، القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**،ج 40/7 وما بعدها،

136. ابن عاشور،**التّحرير والتّنوير**،ج 200/6 ، وطالع القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن** ج 285/1 ،367، 31/5، 484/7

137. الطّبري، **تفسير الطّبري**،ج 427/8.

138. تفسير **الرّازي**،ج 11/ 240.

المصادر والمراجع

- الآلوسي البغداديّ، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود، **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.
- أبو حيّان الأندلسيّ، محمّد بن يوسف، **ارتشاف الضّرب من لسان العرب**، تحقيق: د.رجب عثمان محمّد ، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1428هـ، 1998م.
- أبو حيّان الأندلسيّ، محمّد بن يوسف، **البحر المحيط**، ط1، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وأخرين، دار الكتب العلميّة،بيروت، 1413هـ، 1993م.
- أبو داود، سنن أبي داود ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرين، دار الرسالة العالميّة، دمشق، 2009م، 1430هـ،
- أبو السّعود محمّد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(تفسير أبي السّعود)** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت
- الأزهريّ ، أبو منصور محمّد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السّلام هارون وأخرين، الدار القوميّة العربيّة للطباعة، مصر، 1384هـ ، 1964م.
- أمُيَّة بن أبي الصّلت، ديوان أمُيّة بن أبي الصّلت، ط1، تحقيق: د. سجيع جميل، دار صادر ، بيروت، 1998م.

- البخاريّ، الإمام الحافظ أبو عبد الله بن محمّد بن إبراهيم، صحيح البخاريّ، تحقيق: أبو عبد الله علوش، ط2، مكتبة الرشيد، الرّياض، 1427هـ، 2006م.
- الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ،**دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، طبعة مكتبة الأسرة، 2000م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **المقتصد في شرح الإيضاح**، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، العراق، 1982م.
- د. حجّاج،رجب عبد القادر ، **المصدر المركّب في القرآن الكريم دراسة نحويّة دلاليّة**، مجلّة كلّيّة دار العلوم ، جامعة الفيوم، 2011م.
- حسن ، عبّاس، النّحو الوافي، ط13، دار المعارف ، القاهرة، د.ت.
- الدّرويش، محيي الدّين، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، ط7،دار ابن كثير للطّباعة والنشر، بيروت ، 1420هـ، 1999م.
- ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن، **الاشتقاق**، ط1، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل ، بيروت ، 1411هـ، 1991م.
- الرّازي ، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدّين عمر، **تفسير الفخر الرّازي**(المشتهر بالتفسير الكبير) ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1401هـ
- الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمّد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: د. محمّد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

- رضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، **شرح الكافية**، تحقيق: يوسف حسن عمر،مطبعة الجامعة الليبية، د. ت.
- الزجاج ، إبراهيم بن السّريّ، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتاب، بيروت، ، 1408هـ، 1988م.
- الزركشيّ، بدر الدين محمّد بن عبد الله، **البرهان** في علوم القرآن، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت ، 1408هـ، 1988م.
- الزمخشريّ،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، **الكشّاف** عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تحقيق: يوسف الحمادي،مكتبة مصر، الفجالة، د.ت.
- ابن السّراج، أبو بكر محمّد بن سهل ، **الأصول في النّحو**، ط2،تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ، 1407هـ، 1987م.
- السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف، **الدّرّ المصون في علم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د.ت.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ على معوض،ط1، دار الكتب العلمية،بيروت، 1412هـ، 1992م.
- السيوطي ، جلال الدين، **الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، ، ط1 تحقيق: د.عبدالله التركي وأخرين، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، القاهرة ، 1424هـ، 2003م.

- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1408هـ، 1988م.
- الشّعراوي ، محمّد متولي ، **تفسير الشّعراوي**، طبعة دار أخبار اليوم.
- الطّبري ، محمّد بن جرير، **تفسير الطّبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): ،تحقيق د. عبد الله التركيّ وأخرين، هجر للطباعة والنّشر،القاهرة، 1422هـ،2001م.
- د. طه الجندي، **المصدر المؤوّل بحثٌ في التّركيب والدلالة**، دار الثقافة العربية، د.ت.
- ابن عاشور، محمّد الطّاهر، **تفسير التّحرير والتّنوير**، الدار التّونسيّة للنّشر، 1984م.
- د. عبد السّلام، إسلام محمد، **اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم (دراسة دلالية)**، مجلّة كلّيّة دار العلوم– جامعة الفيوم، العدد "20"، 2008م.
- د. عبد السّلام، إسلام محمد، **أثر السّياق في بيان الأوجه الإعرابيّة "دراسة تطبيقية على آي القرآن الكريم"** ، مجلّة كلّيّة دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد "60 "، 2011م.
- د. عبد المطلب، محمّد، البلاغة والأسلوب، ط1، مكبة لبنان، لونجمان ، 1994م
- عضيمة ، محمّد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** ، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

- ابن عطية الأندلسي،أبو محمد عبد الحق بن غالب،**المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 2001م.
- ابن عقيل، عبد الله العقيلي المصري، **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، تحقيق: ح. الفاخوري، دار الجيل بيروت، ط1، د.ت
- الفرّاء، يحيى بن زكريا ، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ، 1983م
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د. ت.
- القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: د.عبد الله التّركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1427هـ، 2006م.
- قطب ، سيّد، **في ظلال القرآن** ، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1410هـ، 1990م
- ابن قيم الجوزية،محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**،تحقيق: على بن محمّد العمران، مجمع الفقه الإسلاميّ ، جدة، د. ت.
- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر،**تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة ، ط2، دار طيبة، الرياض ، 1420هـ ، 1999م.
- لجنة من علماء الأزهر،**الوسيط في تفسير القرآن**، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1، 1400هـ، 1980م.

- المبرد، محمد بن يزيد، **المقتضب**،تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ، 1994م.
- مسلم النيسابوري، الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق:أبو قتيبة الفارابي،ط1، دار طيبة، الرياض، 1427هـ، 2006م.
- د. محمّد، عبد العزيز عبد الله، **ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة** " رسالة دكتوراه"، كلّيّة الآداب ، جامعة الموصل، 1419هـ، 1990م
- ابن منظور،محمّد بن مكرم ، **لسان العرب**،ط1، دار صادر، بيروت، لبنان،2000م.
- د. هنداوي، د. عبد الحميد أحمد يوسف، **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**" **دراسة نظرية تطبيقية**"، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، 1422هـ، 2001م.